

الفصل السادس والستون

أوصاف القصبات والقري على ضفتي النيل

فى السفر من رشيد إلى أم الدنيا

مضينا فى النيل بريح طيبة تجاه كوم أفرح .

قرية عزبة المعدي

وبها مائة بيت وجامع دفن فيه الشيخ عثمان الطشطوشى، وفى أرض رشيد .

بلدة (حدئية)

وبها جامعان وعدة دكاكين ولكن ليس فيها حمام، ولا خان فيها، وفى الجانب المواجه للنيل أرض ذات نخيل بها قبر صغير للشيخ جابر، وبالقرب منها ترعة عظيمة وهى تجاه رشيد وفيها سفن تختلط بمياه بحيرة البرلس ومن هذه البحيرة تسمى السفن إلى قلعة برلس وسوف نتحدث عنها فى موضعها وفى :

محلة الأمير

جامعان وعدة دكاكين ولهما منارتان، وثلاث مقاه عربية، وعبرنا إليها، وفى أرض الغربية :

قصة شيرين برمبال

بها ألف بيت وأربعة جوامع وعشرون مسجداً ومقهى وخمسون دكاناً وخانان وحمام، وفيها الكتان والحزير الفاخر، وجوؤها غاية فى اللطف، وتجاهها :

قصة ديبى

وفيها ثلاثمائة وستون بيتاً وخان ومقهيان ولكن المقهيين غاية فى القذارة، وهما للفلاحين وليس فيها حمام، وفى إقليم البحيرة على شاطئ النيل :

قصبه أدشينه

وهى التزام، ولها ألف بيت وهى مدينة معمورة، ومنازلها عالية ومزينة، وبها جامعان لهما منارتان جميلتان وخمسون دكانًا وخانان وثلاث مقاه، وليس فيها حمام، وفى قبالتها فى إقليم الغربية:

محلة مطويس

يتحصل منها فى العام ستة أكياس.

وثمة سبعون قرية، إنها وقف مكة والمدينة، وليست كشوفية، وهى التزام الشيخ البكرى، وبها ثلاثة آلاف بيت وخمسة جوامع وفى السوق جامع كبير يحمل سقفه اثنان وخمسون عمودًا من الرخام وسقفه مزخرف وطوله مائتا خطوة وعرضه مائة وخمسون، كما توجد بها سبعون زاوية، وخمس منارات تظهر فى الأفق وحمام وسبع وكالات، وسبل ومقاه، ومائتا دكان وأربعون طاحونة للزيت وعشرون طاحونة تديرها الخيل ولا وجود لسوق، وفيها قصر شامخ يسكنه الحاكم وأمامه قصر جميل على ضفة النيل ينزل به الضيوف والمجاورون، ويجمعون ثروة طائلة إنها بقعة جميلة وعلى ضفة النيل زاوية مثل الجنة ولأرزها وسكرها ذائع الشهرة، وهذه البقعة على مرتفع من الأرض فهى لطيفة الهواء، وكل بيوتها تطل على النيل، وبعدها:

محلة جمشير

وهى التزام وبها مائتا بيت وجامع، وعدة دكاكين، ولكن ليس فيها حمام، وقبالتها فى إقليم البحيرة:

محلة فزاده

وهى تتبع قصبه ديروط، وبها مائتا بيت، وبها كذلك جامع وعدة دكاكين ومقهى، ولكن ليس فيها حمام، والنيل فيها يجرى متعرجًا.

أوصاف محلة ديروط

كان لفرعون فيها دير كبير لذلك سميت ديروت وهي تابعة لالتزام سنديون، وبها ألف بيت وأربع منارات وأربعون زاوية وحمام ووكالة وأربعة مقاه، وراقصات جميلات، وخمسون دكاناً وحقول غزيرة المحصول، وقبالتها فى إقليم الغربية:

محلة سنديون

وهى قضاء يدر مائة وخمسين أفجه ويتحصل منها فى العام ثمانية أكياس، وفى ناحيتها ثمانون قرية ويسكنها بنى حرام وبنى جزام، وينشب القتال بينهما على الدوام، وفى القرى ثلاثة آلاف بيت، ولها كاشف صاحب خلعة، ولها جامع ذو منارة جميلة وبها مائتا دكان، وخان، وليس فيها حمام وبعدها بميل فى إقليم البحيرة:

محلة عاطف

وهى التزام وبها ألف بيت، وبها جامع وعشرون مسجداً وعدة أسواق صغيرة، وليس بها حمام، وبالقرب منها بلد داود ومن هذه البلد تجرى ترعة الناصرية إلى الإسكندرية.

أوصاف قصبة فوه

هى قضاء يغل مائة وخمسين أفجه وبها مائة قرية وخمس من القرى العامرة، وهى كاشفيه يلبس كاشفها الخلعة من الغربية وبها أربعة آلاف بيت واثنى عشر جامعاً، وأربعون مسجداً وأحد عشر جامعاً ذا منارة وحمامان وخمس وكالات وثمانية مكاتب للصبيان وستون دكاناً وأربع مقاه.

إنها مدينة عامرة تزدهم بالسكان وتجاهها جزيرة صغيرة يحيط بها النيل من جوانبها الأربعة، ويسمونها جزيرة الذهب ولأنها كثيرة المحاصيل سميت جزيرة الذهب، وعسلها أبيض لذيد وكانها جزيرة تشبه الجنة وفى حدائق نخيلها جامع جميل ذو منارة

وعلى مقربة منه قرية بها أربعون بيت وبعد هذه الجزيرة على مسافة ميل فى إقليم الغربية:

محلة شرف

وتضم نحو ألف بيت وجامع ومقهى وقبالتها فى إقليم البحيرة:

محلة شُرْمُ بك

وبها نحو ألف بيت وجامعان ومقهيان وهى قسبة كثيرة المحاصيل، وفى تجاهها فى إقليم الغربية:

محلة السالمية

وهى التزام وبها ألف بيت وجامع ذو منارة وعلى بعد ميل وفى إقليم الغربية:

محلة مالك

وبها خمسمائة بيت وهى التزام وبها دار للضيافة عبارة عن قصر عال يسكنها صاحب القرية وفى كل ليلة يكرم صاحب القرية أربعين أو خمسين ضيفاً، ويعلف خيولهم لأنها محلة يمر بها كثير من الناس، وبها جامعان وأسواق صغيرة، ولكن ليس فيها حمامات والشيخ محرم والشيخ كنعان والشيخ رمضان دفنوا فى قبور بيض بها، وقد رسونا فيها بعشرين باره ونزلنا ضيوفاً ليلة وفى الصباح تابعنا سيرنا، وفى هذه المدينة وفى إقليم البحيرة:

محلة سموخذات

إنها قسبة صغيرة ملتزمها رشيدلى مندل زاده وبها ثلاثمائة بيت وجامع وبها قهوة وليس بها حمام ولا دكان، وعلى بعد ثلاثة أميال وفى إقليم البحيرة كذلك:

محلة الرحمانية

وهى فى التزام قيطاس أغا، وقد أوردنا أوصافها على التفصيل فيما كنا ذاهبين إلى البحيرة وتجاهها فى إقليم الغربية:

محلة إبراهيم الدسوقي

وقد أوردنا أوصافها سلفاً وعلى بعد تسعة أميال منها في إقليم الغربية:

بلدة مرقاص

وقد دفن فيها إبراهيم الدسوقي وقد وصفتها من قبل وعلى بعد ميلين في إقليم الغربية محلة:

أبى على

وقد ذكرت من قبل وفي قبالتها في إقليم البحيرة محلة:

ديبى كبير

وهي التزام وبها ثلاثة آلاف بيت معمور وبها جامعان لكل منهما منارة، وعشرون مسجداً وخان وعشرون دكاناً ومقهيان.

وقد تجولت في النيل، وكنا ضد مهب الريح، فأنزلوا جميع الملاحين جانباً، وجذبوا السفن بالحبال فبذلوا في ذلك جهداً عظيماً، وتجاه هذه المحلة:

محلة شبراخيت

وتحتوى على ألفى بيت وجامعان وعشرة مساجد، ووكالة، وعشرة دكاكين وثلاث مقاه، وعلى قرابة ميل بإقليم البحيرة:

محلة شبيرى ريش

وهي التزام، ويولد معمور جملةً دورها خمسمائة بيت، وبها جامعان وسبع زوايا، ووكالة وعدة دكاكين، ولكن ليس فيها حمام، وتجاهها في إقليم الغربية:

محلة ميت جناح

وهي التزام، وبها ألفا بيت وجامعان وعشرون مسجداً، ولكن ليس بها دكاكين ولا حمام وتجاهها في إقليم البحيرة:

محلة مجالسه

وهي التزام، وبها جامع واثنتا عشرة زاوية ووكالة ومقهى، وألف ومائتا بيت ولكن ليس بها حمام ولا دكان، وتجاهها في إقليم الغربية:

محلة صالح

وهي التزام، ويقال إن بها قبر عليّ - كرم الله وجهه - وماؤها عذب وكان في هذا البلد قديماً قلعة عظيمة تسمى في كتب التاريخ (ولاية صالح)، وهي الآن مقبرة في سجلات المحكمة، وآثارها القديمة ماثلة للعيان، وبها ألفا بيت معمور وجامعان وعشرون زاوية ومقهيان ووكالة، وعلى بعد ميل منها وعلى ضفة النيل وفي إقليم البحيرة:

محلة كفر جديد

وهي التزام وبها مائتا بيت ليس إلا، وجامع ومقهى، وفي شمالها في إقليم البحيرة:

محلة نكله

وهي التزام، وبها ألفا بيت معمور جميل، وثلاثة جوامع معمورة جميلة، وعشرون من المساجد، ووكالتان، وقصر شامخ هو دار ضيافة، ولا يقل عدد الضيوف فيه عن مائة ضيف في كل ليلة كما أن فيها عشرون سوقاً صغيرةً كما أن بها مقهى، ولكن ليس بها حمام، وتجاهها في كشوفية المنوفية:

محلة فرزدق

وتقع فى التزام نقيب الأشراف، وبذلك سبق وصفها من قبل .
وفى شمالها على بعد ميل وعلى ضفة الترعة النهارية ولأنها فى إقليم المنوفية سبق
لنا وصفها، وهى على حدود إقليم الغربية، وعلى بعد ميل شمالا وفى إقليم البحيرة:

محلة إشليمية

وهى فى التزام سفر أغا، وبها خمس مائة بيت وجامع وست زوايا ومقهى وعدة
دكاكين وحمامات، وليس فيها وكالة، وفى إقليم البحيرة على بعد ميل منها:

محلة الطاهرية

وبها جامع وسبع مائة بيت، وهى قليلة العمران، وعلى بعد ثلاثة أميال وتجاه
الطاهرية وفى إقليم المنوفية:

محلة كفر زياد

وهى التزام وبها خمس مائة بيت جميل وجامع وخانان وعدة دكاكين، وليس فيها
حمام، إنها مرفق السيد أحمد البدوى، وعلى بعد ميل شمالا فى إقليم البحيرة:

محلة شابوز

وبها ألف بيت وهى التزام، وبها جامع واحد، وعلى بعد ميلين شمالا وفى
إقليم البحيرة:

محلة سلمون

وهى التزام سفر أغا وبها مائة بيت وجامع وثلاثون مسجداً وخانان ومقهى، وسبع
أسواق، وعلى بعد ميلين شمالا وفى إقليم المنوفية:

محلة كضرناحه

وهى التزام سياوش آغا وبها مقهى وألف بيت وجامع وليس فيها حمام ولا وكالة ولا دكاكين، وعلى بعد ميلين من جهة الشمال وفى إقليم البحيرة:

محلة أبو أحمد

وهى التزام وبها خمسمائة وخمسون بيتاً وجامع ومقهى وليس فيها حمامات ولا وكالات، وعلى بعد خمس درجات شمالاً منها فى إقليم البحيرة:

محلة بحيرة

وهى فى التزام ذو الفقار آغا وبها جامع ومقهى وأربعة دكاكين، وقبالتها فى إقليم المنوفية على نهر النيل:

محلة زغيره

وبها جامع ومقهى، وسبعمائة بيت ولا وجود لما سوى ذلك، وعلى بعد ميل فى إقليم المنوفية:

محلة طنوب

وهى فى التزام رضوان آغا وبها ثلاثمائة بيت، وجامع بلا منارة، ووكالة ومقهى، وعلى بعد ميلين شمالاً وفى إقليم المنوفية:

محلة أمروز

وهى التزام مصطفى أفندى، وبها خمسمائة بيت وجامع ومقهى، وعلى بعد ميلين شمالاً منها وفى إقليم البحيرة:

محلة طَيْرَنَه

وهى التزام، وتروى من ترعة سلطان شرف التى تروى ولاية أبو جاموس، وأولها فى هذه المحلة، وبها خمسمائة بيت معمور، وبها جامع ولا عمران فيها بعد ذلك. ومضينا شمالا ميلين، وفى إقليم البحيرة على ضفة النيل وجدنا:

محلة علقمة أبو الجاوى

وليس فيها سوى جامع، وبها ألفا بيت. وتجاهاها، وفى إقليم المنوفية:

محلة تمالية

وبها ثمانمائة بيت معمور، وجامع، ومقهى تجاوزناها بمسافة ميلين شمالا وفى إقليم المنوفية:

محلة جزى

وهى واقعة فى التزام محمد أغا، وبها دار ضيافة عظيمة، وعلى بابها مدافع وبها ألف بيت وجامع ومقهى وليس يوجد شىء سوى ذلك ويجرى النيل شرق هذه المحلة وهذه المدينة مرفأ، وهى على مسيرة مرحلة^(١) من منوف وقبالتها فى إقليم البحيرة على ضفة النيل:

محلة طرَّانَه

وصاحبها ذو خلعة وطبل وجند، وبها قبور من الجص، وليس فيها حدائق، وبها جامع بلا منارة ومقهى، وفى هذه الناحية قاضى البحيرة ولها ستون قرية تابعة لها.

بيان معادن النطرون الطبيعى

إن ما يسمونه النطرون هو محصول هذه الأرض، وهو يخرج من صحراء هذه الأرض إنهم يحفرون الآبار ويستعمقون بمقدار باع أو باعين، فيمتد عرقاً عرقاً فى

(١) المرحلة: المسافة التى يقطعها السائر ما بين المنزلين.

الأرض، وجميع سكان هذه المحلة مأمورون بأداء هذا العمل، فيستخرجون عدة قناطير من النظرون، وأمام كوخ أمين النظرون يذرون النظرون كأنه ملح، ويأتى من بلاد الفرنجة التجار لشراء النظرون، فيشترون فى العام عدة آلاف من قناطير النظرون، ويتحصل منها فى العام سبعين كيساً وهى التزام وأكثر علماء مصر يشغلون مناصب فى إدارات خاصة به لأنه مال جذل، وفى جميع الدنيا يذبيونه ويجعلونه كالماء ويضعونه على الصخر فينمحي بإذن الله تلك هى خاصيته، كما يوضع فى مصر غالباً فى الطعام مثل الملح، وهو ينضج اللحم ولكنه من أكل منه تأذت عيناه وساءت نفسه وشحب وجهه وانتفخت بطنه كبطن الحامل، وفى مصر يضعون ذرة منه فى طعامهم لأنه ذو قيمة كالوقود، ولذلك فإن الطعام فى مصر يطهى سريعاً، أما أصحاب الأسر إذا طهوا به الطعام كالحطب طاب طعامهم.

وفى عصر الوالى قره مصطفى باشا ثار البكوات فنشبت الحرب واستشهد كثير من الجنود وفى صحرائها دفن بالقرب منهم أتباعهم - رحمهم الله - وعلى بعد ميل شمالاً وفى إقليم المنوفية:

محلة زاويه

بها سبعمائة بيت وجامع ومقهى، وفى شمالها فى إقليم البحيرة:

محلة أبو فشانه

وبها جامع ذو مناره وألف بيت جميل، وشمالها فى إقليم البحيرة سكن قبيلة بنى سلامة وبنى رجبان فى أرض رملية وهؤلاء القوم على ضفة النيل ويغيرون على السفن ولا يحاربهم إلا من كانوا يحملون السلاح، وهم شجعان، وقد بلغنا هذه المحلة وسمعنا نساء العرب وهن يضربن بالدفوف على رأس الجيش ويرقصن ويعزفن على الرباب، وقيل لى إن فى إقليم البحيرة أرض رملية لا أمان فيها، والعرب ينهبون السفن التى ترسو على هذه المنطقة، لأنها أرض خالية موحشة، والمجرمون يركبون السفن على

أنهم صيادون وهم يُغيرون على السفن، ولذلك يجب التحرز منهم. وقد تجاوزت هذه المنطقة سالماً والحمد لله، وشمال هذه المنطقة فى إقليم منوف:

محلة أشمون جريس

هى التزام كبير وبها جامعان وعشرون مسجداً ووكالتان ومقهيان وعشرون دكاناً وليس فيها حمام، وعلى بعد ميلين شمالاً منها وفى إقليم المنوفية:

كفر جرکس

وهى ليست محلة وبها ثلاثمائة بيت وجامع واحد ولا يوجد عمران بعد ذلك، وسرنا أربعين ميلاً فى مهب ريح الجنوب تجاه كفر جرکس وفى إقليم البحيرة وعلى شاطئ النيل:

محلة قُطه

والحق أن القطط فيها كثيرة وهى التزام ولم يبقَ من القرى والقصبات سواها فى إقليم البحيرة، وعلى بعد ميل منها الجسر الأسود وهو جسر له خندق، وشمالها فى حكم كاشفية الجيزة وعلى بعد أربعة أميال وفى إقليم الجيزة:

محلة أم دينار

وقد كشف السلطان يوسف صلاح الدين فيها عن كنزٍ عظيم، ولذلك سميت أم دينار؛ وبهذا المال الذى استخرجه من هذا الكنز بنى قلعة عظيمة داخل القلعة كما تصدق بمال كثير فعمر مصر، وبها جامع ومقهى وترعة عظيمة، وهذه الترعة تمتلئ عند فيضان النيل فتروى هذه الولاية، وتمر فيها سفن تحمل الغلال لأنها ترعة كبيرة، وفى هذه الترعة معدية أميرية، وبها يعبر أصحاب الحاجات من الجيزة إلى منوف ويؤدون الأجر وتجاهها فى إقليم المنوفية:

محلة شراوى ومحلة دراوى

وبالقرب منهما محلات تقع فى التزام نقيب الأشراف فى مصر برهان الدين أفندى، وهى محلة معمورة لأنها قريبة من مصر وكثيرة المحاصيل فأهلها فى رَغَدٍ من العيش وبها جامعان ولكننا لا نعرف عمائر أخرى سواها وفى حدود منوف على شاطئ النيل بليدات وقصبات تتم هذه المحلة، وعلى بعد ميل محلة تسمى:

بطن البقر

وهى فى نهاية جزيرة فى النيل، ويجرى النيل حولها، وهى جزيرة كبيرة وعظيمة، والنيل يجرى بين إقليم الغربية وإقليم المنوفية، وهى كشتيتان حكوميتان، وبها ألف وستمئة بيت وقرى وقصبات ومدينة عظيمة تتمها هذه الجزيرة هى محلة بطن البقر والنيل ينعطف يميناً ليجرى إلى ولاية دمياط، وينعطف يسرة ليجرى إلى ولاية رشيد، وعلى ساحل النيل الأيسر محلات وقصبات مررنا بها ولكنها رياض ونخيل وبين رشيد وبتن البقر خمسمائة ميل، وليس فى بتن البقر قرى، إنها أرض خالية سبخة وفيها أشجار ذات أشواك، وهى فى حكم جبه جى باشى، وفى تل يحرق أخشاب هذه الأشجار وتوضع هذه الأخشاب على الفحم والبارود الأسود، ولذلك فإن بارود مصر فى شدة بارود بغداد والمجلترا، وفى بتن البقر أربعون ضريحاً وهناك، يستجاب الدعاء، وفى الجانب الشرقى من بتن البقر فى الضفة المقابلة للنيل كشفية قلوب، وفيها:

بلدة بيت البارود

وهى فى حكم جبه جى باشى وفيها يحفظون أخشاب أشجار الشوك والفحم، وفى منطقة على بعد أربعة أميال فى إقليم القليوبية:

محلة شُبْرَا

وقد ذكرنا أوصافها من قبل، وفى الجهة المقابلة لها فى إقليم الجيزة:

محلة الوراق

وفيها جامع ولا تعرف بيوتها، وعلى بعد أربعة أميال جنوباً وفي أرض الجيزة مدينة امبابة.

أوصاف مدينة امبابة وهي عاصمة كشوفية الجيزة

ولكاشف امبابة ثلاثمائة جندي، وهو حاكمها، وهو يُحصَلُ مائة كيس وعشرة، وبها قاضى الجيزة ونائبه، وبها بيوت معمورة، كما أن بها ثمان جوامع وستون مسجداً ومائة وثمانون دكاناً ولكن ليس فيها سوق وبها سبع مقاه، وسبل ومدارس وتكايا وتكيتها معمورة، وفي محكمتها منح شيخ الإسلام مصطفى أفندى معاشاً مائة وخمسين أقبجه، له ولنائبه الحكم فى هذه المحكمة العامرة، وكل هذه الناحية قرى منها:

أوسيم

إنها بلدة كحديقة إرم، ذات نخيل، ولهذه البلدة حاكم من العرب اسمه شجاع الدين سليل قبيلة خبير وهو خير العريان، وله ثلاثمائة فارس، وهم يتولون رعاية شئون الأمن فى تلك البلاد، فإذا ما تعلق مجرم بأذيال الفرار جاءوا به مقيداً، وجو هذه المدينة لطيف كما أن فتياتها وفتيانها يتميزون بروعة الحسن، ويجتمع فيها كل يوم سبت ألف إنسان فى سوق عظيمة، وأصحاب الحرف فيها كثير، ويصنعون المآزر والاقمشة ذات الألوان والعمائم والمروط، وفى كل عام يأتى إلى هذه المدينة من يزورون السيد البدوى ويجتمع فيها أربعون أو خمسون ألف إنسان فى ثلاثة ليال، ويقيمون مولداً عظيماً، ولا يتعلق به الوصف، كما يقيمون الخيام وحلقات الذكر ويزورون الشيخ الامبابى، وهو مدفون فى جامع كبير على شاطئ النيل قدسنا الله بسره العزيز، وحول ضريحه حديقة من نخيل، وتكية فيها مريدون يسمى الواحد منهم الامبابى وينتهى نسبه إلى السيد أحمد البدوى، وهؤلاء المريدون زهاد منقطعون عن الدنيا منزورون فى ركن القناعة يعيشون على الصدقات، ولأن أهل الحرف فيها كثير ففضلاً عما فى الأسواق

يعرضون كذلك ما يصنعون في الدكاكين خارج المدينة في الخلاء، وسبعون داراً للصبغة أميرية، واثنتا عشرة وكالة وحمام وعشرون مكتباً للصبغين وحدائق كثيرة، وأهلها يكرمون الضيف، ومقابل امبابه:

بولاق

وهي مرفأ مصر، وقد وصلنا إليها من رشيد في خمسة أيام، وهي مدينة كثيرة المحاسن، وركبنا خيولنا وجيادنا إلى القلعة الداخلية ومضينا مع نائب نيشلى على كتخدا، وتجولنا في أرجاء المدينة لقد زرنا رشيد ولكن بقي ميناء دمياط، وفي الصباح سوف نمضى إلى البرلس وقلعتها وقلعة دمياط وقلعة تيمه، وقد طوفنا في هذه الأجزاء، وفي اليوم التالي في السحر زرنا جميع القلاع هنالك وصدر أمر من الكتخدا بأن يمنحني الوالى خمسين ديناراً من ذهب نفقة الرحلة، فقبلت يده، ودعيت له بالخير، ومضيت وودعت الكتخدا، ونلت منه أربعين ديناراً من ذهب وقماش من الجوخ، وفي هذا اليوم مضيت إلى مدينة بولاق، وهيئت لنا حاجتنا من المأكولات والمشروبات مع خمسين فتى فى السفينة، وركبنا السفينة مع هؤلاء الخدم ومضينا فى طريقنا.
